غزوة حنين

ولم تمض أيام معدودات على مقتلة بني جذيمة حتى لمس خالد موضع الثقة من نفس النبيِّ في حادث من أكبر حوادث الإسلام وهو غزوة حنين..

لمس هذه الثقة في غزوة حنين مرتين: مرة في إسناد قيادة الخيل إليه على طليعة الجيش، ومرَّةً في سؤاله عنه وعنايته به بعد هزيمةِ الخيل موليةً عند اشتباك الجمعين.

وحقُّ خالد في تلك الثقة إنما يستبين من عرض الغزوة كلِّها لجلاء الأسباب التي أوقعت الهزيمة الأولى بجيش المسلمين، ولا يدَ فيها لخالد من قريب ولا من بعيد... بل لعلها توحي إلينا أنَّ هزيمة خيله يومئذٍ إنَّما كانت كصدِّ الأجسام للأجسامِ ضرورةً ماديةً لا دخل فيها للعوامل النفسيةِ، إما جارفة من الجوارف القوية، تأخذ ما أمامها من إنسان أو حيوان ومن شجاع أو جبان.

فقد فُتِحَتْ مكَّة والأعراب من حولها ثائرون محنقون، وعلموا يومئذٍ أنَّها الوقعة الفاصلة وأنه لا مطمع بعدها في مكافحة النبيِّ إذا تطاولت الأيَّام على قيام دينه في البلد الحرام وموطن الكعبة والأصنام.

فاجتمعت قبائل همدان من هوازن وثقيف وجشم ومشى بعضهم لبعض يقولون: "إنَّ محمدًا قد فرغ من قتال قومه ولا ناهية له عنَّا. فلنغزه قبل أن يغزونا". واستنفروا القبائل فلبَّاهم من أقربائهم عدد كبير منهم بنو سعد بن بكر الذين تربى بينهم النبيُّ وهو رضيع..

وتولَّى قيادتهم مالك بن عوف النصرى وهو فتى جريء في نحو الثلاثين يجمع إلى غطرسة الإمارة وحمية الفروسية حدة الشباب ولدد الخصومة والعناد... فساق أموالهم ونسائهم وأبناءهم، وأمرهم إذا رأوا المسلمين "أن يكسروا جفون سيوفهم ثم يشدوا شدة رجل واحدٍ" فإما فوز وإما فناء. وصفت الخيل ثمَّ الرجَّالة المقاتلة ثمَّ الإبل عليها النساء ثم صفت الغنم في حراسة لئلَّا تفرَّ والجيش مشتغل عنها.

وسأله دريد بن الصمَّة حكيم القوم: ما لي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم، فسخر دريد برأيه وقال له: رويعيٌّ ضأن الله! وهل يردُّ المنهزم شيءٌ؟ إنها – أي الحرب – إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت أهلَكَ ومالَكَ، فرماه مالك بالخرف ولجَّ في عنادِهِ ولمح في بني هوزان ميلًا إلى كلام دريد فجمح بع غضب العارم وأقسم. "لتطيعني يا معشر هوازن أو لأتكئَنَّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري".

فهي عزمة رجل مستميت لا يبالي ما يصنع بنفسه أو بقومه في سبيل قهر المسلمين.

وإنما الهبر إلى النبيِّ فخرج في ألفين من أهل مكة حديثي العهد بالإسلام وعشرة آلاف من أصحابه الذين قدموا معه من المدينة. وقيل أنهم كانوا جميعا ثمانية ألاف.

وأعوزه السلاح فاستعار من بعض المشركين دروعا فأعطوه ثلاثين أو أربعين درعًا – وقيل مائة درع – بما يكفيها من السلاح،

واستعار من ابن عمه نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ثلاثة آلاف رُمح، فأعاره إيَّاها وهو يقول: كأني أنظر إلى رماحك هذه تقصف ظهر المشركين..

وأخرج خالد على طليعة الجيش في مائة فارس من بني سليم.

قال الحارث بن مالك: خرجنا معه رسول الله ونحن حديثو العهد بالجاهلية فسرنا معه إلى حنين، وكانت لكفَّار قريش ومن سواهم من العرب شجرةٌ عظيمةٌ خضراءُ يقال لها ذات لأنواط يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويعكفون عليها يومًا. فرأينا ونحن نسير مع رسول الله سدرةً خضراء عظيمة. فتنادينا من جنبات الطريق: يا رسول الله. اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله: الله أكبر. قلتم – والذي نفسي بيده – كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا إلها كما لهم ألهة.

وكان في الجيش كثير من أمثال هؤلاء المسلمين المحدثين، ومعهم في ساقة الجيش جمع من المشركين بين رجال ونساء ينظرون ما يكون، وكان فيهم أبو سفيان الذي قال حين رأى بوادر الهزيمة: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر! وفيهم كلدةُ بن الحنبل الذي صرخ شامتًا متعجِّلًا: ألا قد بطل السحر اليوم، وصرخ معه آخرونَ يقولون: اليوم ترجع العرب إلى دينِ آبائِها.

وكان الغالب على جيش المسلمين في خروجهم قلَّة الاكتراث بعدوِّهم، فقال أبو بكر الصديق: لن نغلب اليوم من قلَّةٍ، ونسبت هذه الكلمة إلى غيره، ولكنها قيلت على التحقيق لما جاء في القرآن الكريم:

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا ﴾.

وتقدم الجيش حتَّى حضرت صلاة الظهر فجاء رجل فارس فقال: يا رسول الله. إني انطلقت بسين أيديكم حتى طلعت جبلًا فإذا أنا بهوازن عن بكرةِ أبيهم بظعنهم ونعمهم وشائِهم اجتمعوا إلى حنين.

فتبسَّم رسول الله وقال: تلك غنيمةُ المسلمين غدًا إن شاء الله. ثمَّ سأل: من يحرسنا الليلةَ؟ قال أنس بن أبى مرثد: أنا يا رسول الله. فأمره عليه السلام أن يستقبل الشعب حتى يكون في أعلاه، وقال له: لا نغزونَّ من قِبَلك الليلة.

فلما أصبحوا سأل النبي: هل أحسستم فارسكم؟ يعنى ذلك الحارس المستطلع. قالوا: يا رسول الله ما أحسسنا. فجعل عليه السلام يصلي ويلتفت إلى الشعب، حتى إذا قضى صلاته قال: أبشروا فقد جاءكم فارسكم! فجعل ينظر إليَّ خلال الشجر في الشِّعب وإذا هو قد جاء حتى وقف وقال: إني انطلقت حتى إذا كنت في أعلى هذا الشعب حيث أمرني رسول الله فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما فنظرت فلم أر أحدًا، فسأله: هل نزلت الليلة؟ قال: لا. إلا مصليًا أو قاضي حاجَةٍ.

وروى مسلم من حديث عكرمة بن عمار عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال: "غزونا مع رسول الله حنينًا فلمَّا واجهنا العدو تقدَّمت فأعلو ثنيةً فاستقبلني رجل من المشركين فأرميه بسَهم توارى عنِّي فما دريت ما صنع، ثم نظرت إلى القوم فإذا هم قد طلعوا من ثنية

أخرى، فالتقوا هم وصحابة رسول الله فولَّى أصحاب رسول الله، ورجع منهزمًا".

وحدث أبو عبدالرحمن الفهري فقال: "كنَّا مع رسول الله في حنين فسرنا في يوم قائظٍ شديدِ الحرِّ".

وروى محمَّد بن إسحق بسنده: "خرج مالك بن عوف بمن معه إلى حنين فسبق رسول الله إليها فأعدُّوا وتهيَّأوا في مضايق الوادي وأحنائه وأقبل رسول الله وأصحابه حتى انحطَّ بهم الوادي في عماية الصبح، فلما انحط الناس ثارت في وجوههم الخيل فشدت عليهم وانكفأ الناس منهزمين لا يقبل أحد على أحدٍ".

وفى روايات شتَّى أن كمينا من المشركين فاجأ المسلمين من شعبة في الوادي وقابلهم بنبل كأنه الجراد المنتشر، "وكانوا رماة... لا يكاد يسقط لهم سهم". فأدبرت الخيل وأدبر المقاتلة وراءها لا يلوون على شيءٍ.

وتلك جملة الأخبار عن بدء المعرجة جمعناها من مصادر متعدِّدة وأثبتنا بعضها بحروفها، ويتبين من المعارضة بينها أن الهزيمة انكشفت من الهجمة الأولى، لأنَّ الخيل فوجئت في الطليعة بالنَّبل المنتشر من الكمين المستتر، فولت منهزمةً في جفلة حيوانيةٍ معروفةٍ في أشباه هذه المواقف، وقديمًا ذكر الرواة عن حرب الإسكندر وأمراء الهند أن جفلة الفيلة من الحديد المحمى كانت هي سبب الهزيمة التي أصيبت بها الهند فانقلبت الفيلة وبالًا عليهم وقضت وهى موليةً على الكثيرين من فرسانهم ومشاتِهم، تطأ بعضهم وتوقع الآخرين وتدفع من حاول

الثبات إلى الفرار، ولم تمضِ على حنين بضع سنوات حتى لقي الفرس من فيلتهم في حرب المسلمين مثل هذا المصرع ومثل هذه الجفلة الحيوانية، يوم تعمدها المسلمون بالضرب في البلاعيم والخياشيم.

وقد حدث مثل هذا مرَّةً أخرى في وقعة حنين هذه حين حاول المسلمون أن يكرُّوا بعد الفرار "فصار الرجل يلوي بعيرَهُ فلا يقدر على ذلك لكثرة الأعراب المنهزمين، فيأخذ درعَه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفَه وترسَه ويقتحم عن بعيره ويخلِّي سبيله ويؤم الصوتَ".

وهكذا بدأت الهزيمة بفرار الخيل ولحاق المشاة بهم واختلاط الحابل بالنابل بعد ذلك من الفريقين، وتواتر القول أن الطلقاء الحديثين في الإسلام أدبروا منهزمين عمدًا بعد الهجمة الأولى. فأشاعوا الهزيمة فيمن معهم من المهاجرين والأنصار.

ولقد أوشك أهل مكَّة أن يستبقوا الأعراب المتقدِّمين على رضا من بعضهم لحنينهم إلى الدين القديم، وعلى كره من بعضهم لان فيهم من غلبة الأعراب على قريش، لولا أن تغير مجرى الحال ودارت الدائرة على المشركين بعد لحظات، وكان الفضل في ذلك لحركة جاءَتْ من قبل المسلمين وحركة جاءت من معسكر الأعراب، وكان مجيئها في الموعد المقدور.

فأمَّا الحركة التي جاءت من قبل المسلمين فهي بروز النبيِّ عليه السلام بشخصه الكريم إلى مقدمة الصفوف. فقد ثبت في ذلك الهول الجارف ثبوتًا يجلُّ عن الوصف وأخذَ زمام المعركة كلِّها في يديه ليمضي وحدَه في القتال كيفما تصير الأمور.

وكان قد شهد المعركة على بغلته دلدل أو الشهباء، فانحاز إلى اليمين سريعًا ليستطيع التقدُّم بين تلك الصفوف المتدفعةِ من مدبرين ومقبلين، والتفت إلى اليمين ونادى: يا معشر الأنصار! ثمَّ التفت إلى اليسار ونادى كذلك يا معشر الأنصار ! فتسامعوا وتجاوبوا وعطفوا – كما وصفهم شاهدوا الموقف– عطفةَ الإبل على أولادها، واجتمع معهم حول الرسول الله مئات في لمحة عين.

وتختلف الروايات في وصف هذه الحركة المجيدة من بدايتها، فيقول بعضها أنَّ الناس أدبروا يومئذٍ عن رسول الله حتى بقي وحدَهُ، ويقول بعضها: بل بقي معه نفر قليل منهم أبو بكر وعمر وعليٌّ والعبَّاس والفضل ابنه وأبو سفيان بن الحارث وربيعة بن الحارث ومتعب بن أبي لهب وعبد الله بن مسعود وقليلون لا يتجاوزون الاثني عشر. وجعل الرسول الله يقول:

أنـــا النبـــيُّ لا كـــذب انـــا ابـــن عبـــد المطلـــب

ثمَّ أمر عمه العباس أن يصرخ في الجيش قائلًا: يا معشر الأنصار..... يا أهل السمرة ! يا أصحاب سورة البقرة، يا بني الخزرج، وكان العباس رضي الله عنه جهير الصوت يسمع صوته على مسافات بعيدةٍ.. وقيل إنَّه كان يقف على سَلْع وينادي غلمانَه بالغابة فيسمعونه وبينه وبينهم ثمانية أميال.

فلمَّا جلجل صوته بهذا النداء إذا بالأنصار والمهاجرين يتجاوبون: يا لبيك يا لبيكَ! ويسرعون إلى ناحية الصوت زرافاتٍ زرافاتٍ، حتَّى تجمع منهم ثلاثمائة أو يزيد في لحظاتٍ، ثمَّ شاعت بين الألوفِ المؤلّفة

قدوة الكرِّ والإقبال بعد الفرِّ والإدبار، فإذا بالجيش بقضِّه وقضيضه يعدو إلى ساحة القتال ويرسل الخيل والمطايا ليملِكَ كلٌّ منهم زمام يديه وقدميه. وهانت النفوس حتى استهدفت الناس للموت غير مباليات. ومنهم من لم تكن على صحة في النظر كالعميصاء أم أنس بن مالك. وكانت وهى حامل تحزم وسطها ببرد لها وفى حزامها الخنجر لدفاع من يجترئُ عليها.

وكان خالد بن الوليد قد ثنى عنان فرسه بعد التوائه في الهجمة الأولى فلم يزل يقاتل حتَّى سقط مثقلًا بالجراح لا يقوى على السير من مؤخِّرةِ رحله، وهناك وجده النبيُّ عليه السلام حين خرج يتفقَّد الجرحى بعد المعركة، فبارك له وواسَاه.

أمَّا الحركة التي جاءت من قِبَل المشركين فأعانت على هزيمتهم فذاك أنَّهم قد غرَّتهم طلائع النصر فأقبلوا على الغنائم والأسلاب وشغل الكثيرون منهم بالتقاطِها واستلابها من مطاردَةِ المدبرين. فاتفقت الحركات في وقتٍ واحدٍ لتحويل وجهة القتال.

ويتبين من مقدمات المعركة كلِّها ومن بوادرها التي أجملناها أن الهزيمة بعد الهجمة الأولى كانت ضرورة مادية لا محيدَ عنها، وأنها ضرورةٌ لم يكن لخالدٍ يدٌ فيها ولا طاقة باتقائها؛ لأنَّ أسبابها كلَّها كانت من وراء تدبيره ومشيئته، وهى كثيرةٌ نجملها ما وسعنا الإجمال...

فمنها أنَّ الروح التي غلبت على جيش المسلمين في بداية المعركة كانت روح استهانة وقلَّة اكتراث وأنَّ الروح التي غلبت على روح

المشركين يومئذٍ كانت روح استماتةٍ وعنادٍ مع تقارب العدد بين الجيشين..

وربَّما رجحت كفة المشركين في الدروع والسلاح لما تقدم من حاجة النبيِّ عليه السلام إلى استعارة بعض الدروع والرماح..

و"منها" أن جيش المسلمين كان فيه كثير الطلقاء، قد يبلغون الألفين وقد يزيدون، وكانوا على دَخَلٍ أو على ضعف يبيتون النيَّة على خذلان النبيِّ. فخذلوه وتبعهم الناس.

و"منها" أنَّ جيش المشركين سبق المسلمين إلى مواقفه فاختاروا أحسن الاختيار، وهجم في الوقت الذي ارتضاه..

و"منها" أن المسلمين كانوا يواجهون الشمس عند الصباح واليوم قائظٌ لا تقوى فيه العيون على مواجهة إشعاعها، فحيل بينهم وبين التثبت والإحكام في مطلع الصباح إلى أن استوت الشمس في كبد السماء.

و "منها" أن استطلاع المسلمين لم يكن على عادته من البارعة والتيقن والإسراع. فقد أبطأ الفارس المستطلع حتى التمسه النبيُّ عليه السلام مرتين، ثم جاء ولم يخبر بشيءٍ، ثمَّ ظهر الكمين المرهوب من حيث لا يرونه فأوقع بالخيل وهى لا تحسب له أيَّ حساب، وهذا مع مهارة المشركين في الرماية حتى قيل أنهم لا يسقط لهم سهم.

و"منها" أنَّ بني سليم أصحاب الخيل التي تولاها خالد كانوا على قرابة من هوازن، وعز عليهم أني لاحقهما لمسلمون بعد استدارة المعركة فكانوا يقولون: ارفعوا القتل عن بني أمِّكم، وكانوا مع هذا ضعاف على

الإسلام فسبقوا إلى الردَّة بعد موت النبيِّ عليه السلام، ومازالوا في موضع الظنَّة بعد ذلك على عهد الخلفاء.

فتقدير النبيِّ عليه السلام لخالد بن الوليد إنما هو التقدير الصحيح لأعمال السرايا والجيوش في مؤتةَ وبني جذيمة وحنين، وكأنما هو تقويم الجوهري الخبير للجوهر النفيس في معدنه الخفيِّ غير مصون ولا مصقول، وللتاريخ من بعده تقويم الجوهر بما يضفى عليه من جمال الصوغ والضياء..

ونعود هنا فنقول: إن تقدير النبيِّ عليه السلام خالد بن الوليد لم يكن تقدير المجاملة لمكانةٍ أو لما يرجى من قومه الأقوياء بني مخزوم، فإنه عليه السلام لم يجامله في وصفه الذي طابقته حوادث الأيَّام، ولم يجامله حين قدم عليه في القيادة بثلاثة من السابقين في الإسلام وترك اختياره لاتِّفاقِ كلمة المسلمين، بل لم يجامله حين خاصم عبد الرحمن بن عوف فغضب النبي عليه السلام وقال له معرضا: "يا خالد ! ذر أصحابي. لو كان لك أُحُدٌ ذهبًا فأنفقته قيراطًا قيراطًا في سبيل الله لم تدركهُ غدوة أو روحة من غدوات أو روحات عبد الرحمن"..

إنَّما هو سيد السادة ومربِّي الرجال والأبطال، يقوم بالأعمال بقيمتها وينزل العظماء في منازلهم، ولا يمنعه أداء المجاملة أن يجامل بمقدار على حسب السوابق والأقدار..

وقد تولى خالد للنبيِّ أعمالًا أخرى في سنوات صحبته الثلاث، ولكن الأعمال التي اخترناها هي أكبر أعماله في حياته عليه السلام، وهى أقرب الأعمال إلى وزن كفايته وتقويم معدنه وتمييز خلقه، ولكنه

أريد لكل عمل صغير كما أريد لكلِّ عمل كبير، وكانت للنبيِّ عليه السلام نظرةٌ في كل مهمة مقدورةٍ ندبه إليها..

فمن مهامِهِ الصغيرة تسييره في ثلاثين فارسا لهدم "العزَّى" بعد فتح مكَّة ببضعة أيام، وهى الصنم الذي كان أبوه يتمسح به وينحر له الإبل والغنم، وكان سدنته من بطون بني سليم الذين قاتلوا مع خالد في مقاوم شتَّى، وقد كان معبود القبائل التي لقيها المسلمين في حنين، وأصله ثلاث شجرات بأرض نخلة يزعمون أن ربَّهم كان يشتو بها لحرِّ تهامة ويصيف باللات عند الطائف لبردها، وظلَّت مخوفة إلى ما بعد الإسلام. فيقول الكلبيُّ: "إنَّ اللات والعزى ومناة لكل منها شيطانة تكلمهم وتراءى للسدنة من صنيع إبليس وأمره" وهى التي أرجف من أرجف من المشركين أنَّ القرآن الكريم يرتضيها ويساومهم على عبادتها ويجعلون منه قولهم: "اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى. تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترضي"[1].

فهي مهمَّة مخوفة من وجهتها النفسية وإن سَهُلَتْ من الوجهة الحربية، فخرج خالد حتى انتهى إليها فهدمها، وجاء في بعض الأقاويل أنه: "لما انتهى إليها جرَّدَ سيفَهُ فخرجت إليه امرأةٌ سوداء عريانةً ناشرةً شعرَهَا، فجعل السَّادن يصيح بها:

أعـــزَّى اذا لم تقـــتلي المـــرءَ خَالِـــدًا

فبـــوئي بـــإثمٍ عاجـــلٍ أو تنـــصَّرِي

(١) وهي من ترهات مسيلمة الكذاب.

فأخذ خالد "اقشعرار في ظهره" وضربها بالسيف فشقَّها، ثمَّ لقي النبيَّ فقال له: الحمد لله الذي أكرمنا بك وأنقذنا بك من الهلكة، لقد كنت أرى أبي يأتي العزى بخير ماله من الإبل والغنم فيذبحها للعزى ويقيم عندها ثلاثًا ثمَّ ينصرف إلينا مسرورًا، ونظرت إلى ما مات عليه أبي وإلى ذلك الرأي الذي كان يعاش في فضله وكيف خدع حتى صار يذبح لما لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع" فقال عليه السلام: "إنَّ هذا الأمر إلى الله فمن يسرُّه للعدى تيسر له ومن يسَّره للضلالة كان فيها".

وكذلك بلغت العبرة إلى خالد قبل أن تبلغ منه إلى الناس.

ومن المهام التي تدب لها في حياة النبيِّ مهمة يمتزج فيها الشكُّ بالأمل والرفق بالشدَّة والترغيب بالترهيب، لأنها بعثة إلى أناسٍ علابين مجتمعي الرأي أولي عصبةٍ وبأسٍ وحنكةٍ ولهم سمَةٌ يخالفون بها سمةَ العرب في معظم أنحاء الجزيرة وهم بنو الحارث بن كعب بنجران...

أرسله إليهم وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثةَ أيَّام، فإن استجابوا قبل منهم وإن يفعلوا فله أن يقاتلهم، فخرج إليهم وبعث الركبان فيهم يبشرون بالدين الجديد ويبصرونهم بفضائله وأحكامه، فاستجابوا له ودخلوا فيما دعوا إليه..

وأقبل وفد من عظمائهم إلى النبيِّ – بأمره عليه السلام – فقال حين رآهم: من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهندِ؟.. قيل: يا رسول الله: هؤلاء رجال بني الحارث بن كعب. ثمَّ سلَّموا ونطقوا بالشهادتين فقال لهم عليه السلام: أنتم الذين إذا زجروا استقدموا؟ وأعادها ثلاثا

وهم لا يجيبون. فلما أعادها الرابعة قال زعيمهم يزيد بن عبد المدان وفيه شوس وخيلاء: نعم يا رسول الله! نحن الذين إذا زجروا استقدموا، وكررها أربعًا، فقال النبيُّ: لو أنَّ خالدا لم يكتب لي أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم، فانطلق ابن عبد المدان يقول: أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالدًا. قال: فمن حمدتم؟ قالوا: حمدنا الله عزَّ وجلَّ الذي هدانا بك يا رسول الله! قال: صدقتم. ثمَّ سألهم: بِمَ كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهليةِ؟ قالوا متغضِّبين: لم نكن نغلب أحدًا. قال: بلى! كنتم تغلبون من قاتلكم. فعادوا يقولون: كنَّا نغلب من قاتلنا يا رسول الله أنَّا كنَّا نجتمع ولا نفترق، ولا نبدأُ أحدًا بظُلم". قال: صدقتم، وقفلوا إلى ديارهم فأرسل إليهم عمرو بن حزم يفقِّهُهم في الدِّين ويعلمهم السنَّة ومعالم الإسلام ويأخذ منهم الصدقات..

وقد شهد خالد مع النبيِّ عليه السلام غزوتين لم يجر فيهما لقاء واشتباك، وهما غزوة الطائف وغزوة تبوك.

وكانت غزوة الطائف تتمَّةً لوقعةِ حنين، لاذت بها القبائل بعد فرارها وامتنعت وراء أسوارها، وجمعت من الميرة ما يكفيها إلى السنة القابلة، فأحاط المسلمون بالأسوار فرمَاهُم المشركين بالنبل كأنه أسراب الطير وقتلوا وجرحوا وهم متمكنون في أسوارهم، فبرز خالد لهم يدعوهم إلى النزال ولا يجيبه أَحَد. ثم صاح به عبد ياليل عظيم ثقيف: "لا ينزل منا أحدًا ولكن نقيم في حصننا فإن فيه من الطعام ما يكفينا سنين. فان أقمت حتى يفنى الطعام خرجنا إليك بأسيافنا جميعًا حتى نموت عن آخرنا".

فضربهم المسلمون بالمنجنيق وتقدَّم نفَر من الصحابة تحت دبابتين من جلود البقر يفتحون ثغرة في الحصن، فأرسل عليهم المشركون سكك الحديد المحمَّاة فأحرقت الدبابتين وصدتهم عن السور.

وأمر عليه السلام بكرومهم ونخيلهم فقطعت وهم يصيحون: دعها لله والرحم! فقال عليه السلام: أدعها لله والرحم، واستشار نوفل ابن معاوية الديلي في أمرهم فأجابه: "يا رسول الله! ثعلب في جحر إن أقمت أخذته وإن تركته لم يضرَّكَ".

وفى الطريق قسم النبيُّ غنائم حنين قسمة لم ترض أناسًا، فغضب رجل من المنافقين وصاح في حضرته: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله! فاحمرَّ وجهه عليه السلام غضبًا وقال له: ويحك من يعدل إذا لم أعدل. ووثب خالد وعمر يستأذنانه في ضرب عنقه فأبى وقال: لا .. لعلَّه أن يكون يصلِّي. فقال خالد: وكم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه؟ فعاد النبيُّ يقول: إني لم أؤمَر أن أنقِّب عن قلوب الناس ولا أن أشقَّ عن بطونهم...